اكتشافات حديثة لمخطوطات تتعلق بالتوراة

في الشرق الادنى

بقلم س. ل.

لم تكن ارض الشرق الادنى في عهد من العهود غنيـة بالآثار الخطية المكتشفة اكثر مما كانته في غضون السنوات العشرين الاخيرة فكأن القدر لم يشأ ابدًا ان يعزز كل التعزيز مفسّري العهدين الجديد والقديم كما يعززهم اليوم.

ويشوقني ان اوضح لكم انني لست من الذين يحملهم مزاجهم على الرغبة في المغالاة وان في سبيل الدفاع عن العقائد الايمانية فلذلك لم اعوّل على استخدام العبارات الطنّانة ولا على سحر البيان لادع الوقائع تتكلم وحدهـا محاولًا عرض اكتشافات السنين العشرين المنصرمة ومظهرًا ما لنتائجها المستنبطة من اهمية في دراسات التوراة .

فلا يدهشنّكم اذا ما ارتحت الى ان اقف عند بعض المكتشفات الاخيرة بالنسبة الى تاريخها الا وهي الآثار العبرية المخطوطة التي وُجدت في صحراء يهوذا.

ولئن اطلقوا عليها « من باب المغالاة » اسم اعظم المخطوطات المكتشفة في الازمنة المتأخرة فهي في الواقع تأتي بعد غيرها هذا الغير الذي لا تستطيع ان تجعله نسيًا منسيًا وان كانت تهمّنا بصورة خاصة لكونها تتناول مباشرة العهد الجديد واقوال المسيح نفسها .

ولست اشير الّا عـلى سبيل الذكرى الى برديّ شستربيتي Papyrus Chester Beatty التي اطلق عليها اسم مقتنيها ومصدرها احد الاديار الذي لم يعرف بالضبط موقعه في الفيوم وقد استحوذ عليها صاحبها سنة ١٩٣٠[1] .

(1) Édités par Frédéric G. Kenyon, *The Chester Beatty Biblical Papyri*. Descriptions and texts of twelve manuscripts of the Greek Bible. London 1933. A ces fragments il faut ajouter les trente feuilles acquises par l'Université de Michigan et publiées par Henry H. Sander sous le titre *A Third Century Papyrus Codex of the Epistles of Paul*, Michigan 1935.

وانه لاكتشاف عظيم لو فكّرنا في انه يشتمل على شذرات واسعة كل الاتساع تضم اثني عشر كتاباً تحتوي على نص قسم من العهد القديم في ترجمته اليونانية « السبعينية » وعلى اقسام كبيرة جداً من العهد الجديد وبخاصة على كل اقوال القديس بولس تقريباً .

ويردّ اكابر رجال الاختصاص باثار الورق البرديّ تاريخ هذه المجموعات الى القرن الثالث اي انهم يعتبرونها اسبق بقرن من اقدم مخطوط على الرق ال Vaticanus الذي هو من القرن الرابع .

وربما لا تعلقون كبير اهمية على هذه التواريخ ولكنكم متى عرفتم ان اقدم مخطوط لدى الادباء الكلاسيكيين اليونانيين لا يتعدى القرن التاسع وان الناشرين يرجعون عادة الى مخطوطات النهضة تدركون بسهولة مبلغ الافضلية التي اصبحت في متناول دراسة العهد الجديد وقيمة اكتشاف يخولنا ان نختصر قرناً من المدة بين تاريخ النص الاصلي وتاريخ النسخة الابعد قدميّة .

وفي اليوم الخامس من اذار ١٩٣٣ اكتشف في دورا ـ اوروبوس Doura-Europos القائمة على الفرات قطعة من الرق بطول ٩،٥ سنتيمترًا على ١٠،٥ س. مدفونة في تراب انقاض جدران المدينة عليها ١٤ سطرًا مقروءة تروي دفن المسيح[1] رواية لا تناقض في شيء نصوص اناجيلنا ولكنها ضرب من القسيفساء من الاناجيل الثلاثة . ولم يكن في الواقع من صعوبة لمقابلة النص اليوناني مع انسجام الاناجيل الاربعة او الدياتسرون Diatessaron الذي ألّفه تاسيان Tatien حوالي سنة ١٨٠ وكان تأثيره عظيماً في الشرق والغرب ولم يكن معروفاً حتى الان الّا من وراء الترجمات المعدلة تعديلًا كثيرًا او قليلًا وهي الترجمات العربية واللاتينية والفارسية اما النص السرياني الذي ربما كان النص الاصلي فلم يكن معروفاً الّا من تفسير القديس افرام الذي بقي وحده محفوظًا في ترجمة ارامية .

اما الآن فها نحن ذو امام نص يوناني ابعد تاريخاً باربعين أو بخمسين سنة عن النص الاصلي لان سابور قد دمّر المدينة سنة ٢٥٠ مما يستحيل معه أن لا

(1) Un fragment de parchemin a été édité par Carl. H. Kraeling: *A Greek Fragment of Tatian's Diatessaron*, London 1935. — Voir l'étude du P. Lagrange dans la *Revue Biblique* de juillet 1935, p. 321-27.

يكون تاريخ القطعة المكتشفة الّا قبل ذلك الميعاد بمائتين وعشرين أو بمائتين وثلاثين سنة[1] .

ولنحوّل الوجه نحو مصر ، نحو اوكزرنك Oxyrhinque أو الفيوم . ففي سنة ١٩٢٠ اشترى غرينفيل Grenfell من تلك المدينة قطعة صغيرة (٨،٩س على ٥،٨س) انتقلت الى مكتبة جوهن ريلان John Ryland حيث استغرقت في نومها ببعض الصناديق حتى نبشت ونشرت[2] سنة ١٩٣٥ . . . فاذا بها بعض كلمات مكتوبة على وجه الصفحات وظهرها — وهي كتاب — ردّ الاختصاصيون بعلم الخطوط تاريخ خطه الى السنوات الاولى من القرن الثاني .

ووجود مثل هذا الكتاب المجموعة الذي يسبق تاريخه مئة سنة برديّ شستربيوتي Papyrus Chester Beatty لا يخلو من فائدة . فماذا تتضمن هذه الشذرات ؟ انها تحتوي على اربع ايات من فصل القديس يوحنا الثامن(V ١٧V٣—٣٣ و ٣٧ — ٣٨) .

وراجت في مصر نسخة من القرن الرابع كانت تشتمل من دون ريب على الاناجيل الاربعة وذلك بعد بضع سنوات فقط من التاريخ الذي يعزوه التقليد الى النص الاصلي . . .

ولقد أكد النقادة لوازي Loisy من وقت غير بعيد ان أول تدوين للانجيل يرتقي تاريخه الى ١٣٠ أو الى ١٤٠ سنة بعد المسيح ولكنّني لست ادري بايّ جوّ عاثر كيف عرضت هذه الاسطر القليلة احدى الآيات التي يرى النقد اللاكاتوليكي ان صدقها مشكوك فيه كل الشك : وما هي الا جواب اليهود على بيلاطس : « لا يجوز لنا ان نقضي بالموت على أحد » (ف ٥،٣١) .

« وفي صيف ١٩٣٤ » أي في السنة التالية انتقلت الى المتحف البريطاني ثلاث صفحات من كتاب يرتقي عهد خطها الى منتصف القرن الحادي عشر وهي لا تتصدى الى ذكر شيء مما ورد في أحد أناجيلنا القانونية ولكنها تتحدث باسهاب عن « انجيل غير معروف » أو عن انجيل خامس وتردّد شذرات من

---

(1) C. H. Roberts, *An Unpublished Fragment of the Fourth Gospel in the John Rylands Library*, Manchester 1935. Voir la brève étude qu'en a donnée le P. Benoit dans la *Revue biblique*, d'avril 1936, p. 269-73.

(2) Ainsi dans *La naissance du Christianisme*, Paris 1933, p. 59.

مباحثات عدة بين يسوع وخصومه شبيهة بالمباسثات التي نراها في أناجيلنا — واليكم بعض أمثال منها : « ولما جاءوا اليه متنطسين بتجربيه وقالوا له : ايها المعلم يسوع ، نحن نعلم بانك جئت من لدن الله لان ما تصنعه يشهد لك اكثر من جميع الانبياء فقل لنا أيجوز أن ندفع للملوك ما فرضوه علينا ؟ أندفع لهم أم لا ؟ وكان يسوع يعرف أفكارهم فأجابهم وهو يرتجف : لماذا تدعوني معلماً بفمكم ولا تعملون بما أقول لكم ؟ فاشعيا قد تنبأ عليكم عندما قال : ان هذا الشعب يمجدني بشفتيه ولكن قلبه بعيد عني ، فعبثاً تمجيده لي . . . ونحن نعرف قصة الجزية المدفوعة لقيصر كما جاءت في الاناجيل الثلاثة فقد أدخلها المؤلف هنا بشذرة استمدها من القديس يوحنا (ف ٣ ، ٢) مع علامتها الخاصة الشهادة واكملها بان أضاف اليها فقرة من اشعيا موجودة ايضاً في أناجيلنا ولكن في محلها .

وفي هذه الرواية التي ليست الا ثانوية استخدم الواضع نصوص أناجيلنا الاربعة[1] وفضل خاصة في استخدامه انجيل القديس يوحنا لان القصة التالية مكونة برمتها من ثلاث آيات أيضاً ليوحنا وانما قد صاغها بصورة ثانية : « لما التفت الى رؤساء الشعب قال لهم هذه العبارة : ابحثوا الكتب التي تحسبون ان لكم فيها الحياة ، فهي التي تشهد لي (ف ٥ ، ٣٩) لا تظنوا اني جئت اشكوكم الى أبي فان الذي يشكوكم هو موسى الذي امنتم به (ف ٥، ٤٥) .

ولما قالوا له : اننا نعلم ان الله قد كلم موسى أما أنت فلا نعلم من أين أجابهم يسوع : الآن اتضح عدم ايمانكم » .

ولقد جاء هذا الانجيل الجديد مصداقاً لما استنتجناه من الاكتشاف الاسبق لان الانجيل الرابع كان معروفاً في مصر منذ مطلع القرن الحادي عشر وكانوا يعتبرونه اعتبارهم للاناجيل الثلاثة الأخر على حد سواء ، فالنظريات التي جهد بعض النقاد مجهوداتهم لاصطناعها قد انهارت انهيار القصور المشيدة من الورق .

(1) American School of Oriental Researches h. 112 (déc. 1948) = "The Hebrew University Scrolls from the Secretarian Cache" par H. L. Ginsley, et dans le Biblical Archaeologist de mai 1949 (pp. 36-46) = The newly discovered Scrolls in the "Hebrew University Museum" of Jerusalem par F. M. Cross.

ب

واني لا أدع المجال يطول بي لانتقل الى التحدث عن اكتشاف أشد اتساعاً كان له صدى بعيد بين الجمهور وفي الصحف الراقية الا وهو اكتشاف مخطوطات عبرية في صحراء يهوذا وعلى ضفاف البحر الميت . فهذه المخطوطات ما برح الغموض يحيط بها وقد ذكرت روايات عدة منها وهي لا تتفق في جميع تفاصيلها. أما المخطوطة المتأخر تاريخها فهي مخطوطة الشاهد الممتاز رئيس دير القديس مرقس السرياني في القدس مار اثناسيوس[1] . واليكم كيف كان مجرى الحوادث :

في شهر نيسان سنة ١٩٤٧ سمع المتروبوليت لاول مرّة بالحديث عن اكتشاف مخطوطات جديدة على مقربة من البحر الميت . فان جماعة من البدو كانوا ينقلون بضائعهم من وادي الاردن الى بيت لحم فرأوا في طريقهم مغارة محفورة في نواتئ الصخور كان ضمنها عدد كبير من الآنية الخزفية (قوارير) فيها ملفات من الجلد يغلفها قماش مدهون بدهان واقٍ لها . وعرض أولئك البدو كنزهم على أحد تجار الآثار المسلمين وطلبوا ثمن الملف الاكبر عشرين ليرة فلسطينية أو زهاء (٢٠٠٠٠ فرنك) فوجد التاجر الثمن غالياً . وعملا بنصيحة تاجر آثار سرياني آخر عرضت تلك الجماعة من البدو كنزها على رهبان القديس مرقس السريان في القدس عن طريق أحد الوسطاء . وبعد مساومات وأخذ وردّ وحتى بعد رفض اتمام الصفقة للمرة الاولى توصلوا الى الاتفاق على بيع خمسة ملفات من أحد عشر ملفاً — وتمكن استاذ الجامعة العبرية في القدس سوكنيك Sukenik الذي وصل حديثاً من أميركا من شراء الملفات الستة الباقية. ولكننا لا نعرف بالضبط ممن اشتراها — كما تمكن من الحصول على قارورتين سليمتين لم تمسا وكان ذلك في تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ أي قبيل تقسيم فلسطين. واعتقد الاستاذ المشار اليه انه على رغم الصعوبات القائمة بسبب خط الحدود الذي كان يفصل بين المنطقتين اليهودية والعربية فصلاً دقيقاً انه سيفوز بالملفات الاخرى ومع ذلك قد تمكن من الحصول على نصوص اثنين منها وأخذ عنها صوراً .

---

(1) Paru dans *The Biblical Archaeologist*, mai 1949, 26-31.

— ولما كانت الظروف القائمة تستوجب كتمان الامر — استطاع الرهبان السريان أيضاً بمداورات جديدة ان يدركوا ما لكنزهم من اهمية. يقد سأل قيم مكتبة الدير يوماً عن بعض المخطوطات القديمة التي وجدها في مكتبته ولم يكن اسمها متيدًا في سجلها فاكب ج. ث. ترافر J.-C. Traver مدير مدرسة الابحاث الشرقية الاميركية على تفحص الملفات وايد صحتها وتمكن من مقارنة نسخة كاملة من سفر اشعيا وتفسير يهودي لفصلي النبي حبقوق الاولين وكتاب احدى الفرق اليهودية (في ملفين) اما الملف الاخير فلم يكن بالاستطاعة فتحه وانما عرف انه مختص بترجمة كتاب Hénoch الارامية .

وبعد ان مكثت كل هذه المكتشفات في بلاد مجاورة بأمن من الاعمال العدوانية حملها المتروبوليت بشخصه الى اميركا لدرسها ونشرها فيها وقد صدر الجزء الاول منها[1] .

وقد نشر الاستاذ سوكنيك Sukenik تقريرًا تمهيديًا عن القسم الموجود في حوزة الجامعة العبرية سنة ١٩٤٨ وصف فيه الملفات الستة الاخرى[2] التي يشتمل احدهما على كتاب سماه « حرب ابناء النور ضد ابناء الظلام » وثلاثة اقسام من الملف نفسه تشتمل على زبور افعال النعمة اما الاثنان الاخران فلم يكونا قد فتحا إبان النشر : فمنذ ذلك الوقت استطاع ان يحقق مخطوطاً ثانياً للنبي اشعيا .

فهل هذا الاكتشاف « هائل » و « عظيم » كما صاح بعضهم ؟

أم انه « خدعة » « عظيمة » من وضع احد كتبة القرون الوسطى ؟

ان بين هذين الرأيين محلًا لحلول ليست بأقل جرأة الا وهو رأي الاستاذ ج.ر. دريفر G.R. Driver العلامة باللغات السامية الذي يرى ان هذه المخطوطات لا ترتقي الى ابعد من القرنين السابع او الثامن[3] .

(1) The Dead See Scrolls of St. Mark's Monastery, vol. I. The Isaiah Manuscript and the Habakuk. Commentary, edited by Millar Burrows with the assistance of John. C. Trever and William H. Brownlee (published by the American School of Oriental Researches, New Haven 195).

(2) On peut voir un résumé en anglais dans le « Bulletin of Am. Sch. ».

(3) Jewish Quarterly Review, avril 1950, p. 359-72.

والواقع ان اهمية هذا الاكتشاف يتوقف قسم كبير منها على قدمية تاريخ المخطوطات بيد انه من الصعب تحقيقها بالضبط على ما يبدو للوهلة الاولى اما ميزات قراءة الخطوط وتفكيكها التي لها غالباً قيمتها لقول الكلمة الفصل فيها فغير موفورة في مثل هذا المقام على نقيض الوثائق اليونانية التي بحثنا فيها آنفاً فان وفرة البردي الحديث فيها والماع اقوالها الى ذكر تاريخها بالضبط هي ادلة صحيحة كل الصحة ، كما ان النقاط التي تصلح للمقارنة في هذا الاكتشاف مفقودة برمتها اما ما لدينا من الكتابات القديمة ككتابات ضريح بيبلوس «جبيل» مثلاً ومسلة مكس ميشا Mex Meša الشهيرة او الكتابات على مدافن العظام اليهودية وبعض الكتابات على العظام كالتي وجدت في السامرية Samariea وتلّ الدوير Tell-ed-Duweir » لاكيش القديمة L'ancienne Lakhish فمحفورة بالحجر او مرسومة بالمرقم على الخزف وليست بمخطوطات بالمعنى الصحيح .

وخوّلتنا اوراق بردي ناش Papyrus Nash التي وجدت في مصر القيام بدرس مقارن مفيد مع الاحتراس بعدم اهماله . فهل هذه المقارنة حاسمة ؟

ان وجوه الشبه لا سبيل لوصفها ولكن مما لوحظ في هذه الوثيقة الضيقة الاتساع كل الضيق (٢٤ سطرًا) ان رسم حروفها هو شديد الاهمال وخال من التنظيم وذلك من دون ان نقول ان كل العلماء لم يتفقوا على جعل تاريخها في السنة المئة بعد المسيح اذ كثير من بينهم يردّ تاريخها الى القرن الاول او الثاني قبل المسيح . اما تحليلها اللغوي وبالاستناد الى علمي الصرف والنحو فاشدّ صعوبة علينا لقصر معرفتنا بالعبرية تلك العبرية التي كانت قبل ان جمع علماء اليهود التوراة في كتاب واحد ونظموها من القرن « السادس الى الثامن بعد المسيح » .

ولا شك في ان ج.ر. دريفر G.R. Drivers قد افترض لها تاريخاً نسبياً حديثاً بالاستناد الى هذه القرائن ! ولذلك لا يكون القول الفصل في الامر الا لعلم الآثار الذى ظلّ محتفظاً بالصمت نظرًا لفقدان الادلة والوثائق ، فالآنية الخزفية (القوارير) التي زعم الاستاذ سوكنيك Sukenik انه استحصل عليها لم يرَ لها اثر ولم يتمكن لا هو ولا الاميركيون من زيارة المغارة لان البدو

احتفظوا بكتمان موضعها فكان من الواجب « اكتشافها من جديد » .

وفي شهر كانون الاول سنة ١٩٤٨ وصل الى فلسطين الضابط البلجيكي الشاب فيليب ليبنس Philippe Lippens المراقب لدى منظمة الامم المتحدة فوقع في اذنه حديث غامض عن اكتشاف مخطوطات قيمة فرغب وهو في فلسطين ان يعرفها فاتصل بالاب ده فو R.P. de Vaux مدير مدرسة الكتاب المقدس وعلم الآثار الفرنسية في القدس في (المنطقة العربية) وبالسيد ل. هاردنغ M.L. Harding مدير مصلحة الآثار بعمان في شرقي الاردن . وفي الواقع ليس الفرع العربي مدرسة علماء آثار بيد ان افضليتها قائمة على كونها تعرف المنطقة كل المعرفة . فشرع الضابطان وهما الكولونيل البريطاني استون Ashton والرئيس « الكابيتان» العربي عكّاش Akkash بك بالعمل ، فقيل انهما شرعا يلعبان الورقة الانكليزية ولكنهما قد لعبا الورقة الفرنسية الانكليزية — وقد تكلل عملهما بالنجاح .

ولفت الضابط العربي يوماً نظر صاحبه الكولونيل الانكليزي الى بقايا آنية خزفية محطمة محجوبة وراء الانقاض فاتبعا اثرها فاذا بالمغارة تنكشف امامهما وكان الاتفاق بينهما وبين الضابط البلجيكي ليبنس Lippens على انه اذا تكللت جهودهما بالنجاح أن يعهدا الى الاب ده فو de Vaux بالاشراف على قسم الآثار « الاركيولوجي » .

وباشر الاب والسيد هاردنغ Mr. Harding العمل المنظم طوال ثلاثة اسابيع من ١٥ شباط الى ٥ اذار لاكتشاف المغارة وفي اليوم الثامن من اذار التالي عهد الى الكاهن ريكمان Ryckmans احد اساتذة جامعة لوفان بان يقوم باعطاء اول معلومات عنها في باريس وذلك تقديراً للدور الذي قام به الضابط « ليوتنان » ليبنس Lippens .

تقع المغارة على بعد ١٢ كيلومتراً الى جنوب اريحا او على بعد ٢ كيلومترات الى شمال عين فشخه Feshkha على زهاء كيلومترين من شاطئ البحر الميت اما من اسفل نواتئه الصخرية فلا يرى شيئاً اما اذا صعدنا نحو ٧٠ متراً فنرى ثقبين في الصخر احدهما على وجه التراب وقد وسّعه المنقبون السريون والثاني

ضرب من النوافذ الضيقــة يرتفع مترين عن وجه الارض وكلاهما تحجبها عن الانظار كتلة من الصخور .

وما كانت هذه المغارة لتستخدم يوماً للسكن وانما هي مخبأ من الطراز المعلم لمن يبتغي ان يخبئ فيها كنزاً ليحجبه عن اعين الفضوليين .

ولقد حاول هذان المنقبان البحث عن حلقات اخرى فذهبت اتعابهما ادراج الرياح لانهما وجدا ترابهما قد قلب بطناً لظهر ، وانما قد كان من حسن حظهما ان الذين نقّبوا قبلهما في ذلك الموضع لم يكونوا من علمـاء الاثار فلم يعبأوا بامور كثيرة لها قيمتها كالقماش الذي حُزمت به الملفات وغلّفت به الآنيــة الخزفية « القوارير » . فتمكن الخبراء الذين باشروا تفحصها ان يؤرخوا لها على التقريب فجعلوها – بين القرنين الثـاني قبل المسيح والثالث بعده مما يكفي لدحض وجهات نظر المتطرفين ، ولقد وجدوا ايضاً كومـة كبيرة من القطع المخطوطة تربو على ٦٠٠ شذرة تكدّس بعضها فوق بعض ولا تعدو ثخانة احداها ثخانة قلامة الظفر وبينها قطع يخول كبرها تحقيق ما تحويه تحقيقاً لا يترك مجالاً للريب في مضمونها كالقطع المكتوب عليها سفر اللاويين الذي سنعود للتحدث عنه .

ومما وجدوه ايضاً بقايا خزفية محطمة عديدة افضى فحصها الدقيق الى التأكيد انها كانت ضمن خمسين « قارورة » لكل منها غطاؤها وهي آنية خزفية لكل منها شكلها الخاص ومن دون عروة وعنقها ضيق لا ريب في انها صُنعت في وقت واحد لاستيعاب الملفات .

ويصرّح اكابر علماء الآثار من دون لبس وغموض بان هذه الآنية الخزفية يرتقي عهدها الى العصر اليوناني قبل العهد الروماني اي ان تاريخها يعود الى حوالي القرن الثاني قبل المسيح ، فاذا كانت تلك الآنية الخزفية قد صنعت حقاً لمثل ذلك العهد فلا يكون تاريخ اي مخطوط من مخطوطاتنا بعد تاريخها .

وفي الحقيقة ما من احد بين جميع العلماء يجيب جواباً ايجـابياً على هذا الامر كالاب ده فو de Vaux فان الكثيرين منهم لا يترددون على جعـل تاريخها في القرن الاول قبل المسيح ، وعلى كل يتفق كل الذين فحصوا بانفسهم الآنية الخزفية « القوارير » والمخطوطات على قدميتها .

وبالاستطاعة التاكيد من دون خشية التعرض لخطأ ما ان جميع المخطوطات المكتشفة في مغارة عين فسخه Aïn Feshkha هي اسبق من التاريخ المسيحي .

ولئن قلت « المكتشفة في عين فسخه Aïn Feshkha » فلأنه ليس من المستحيل ان تكون هناك مخطوطات من مصدر آخر يختلف كل الاختلاف عن هذا المصدر قد اندست بينها .

وثمت مجال كبير للشك بيد ان الافتراض يفسر لنا كيف كان بالاستطاعة ان يظهروا بالوقت نفسه في البدء ان ملف اشعيا وهو ملف آخر يبين مضمونه من دون ريب تاريخا متأخرا كل التأخير—وذلك اذا كانت رواية ت. وشكر T. Wechsler حقيقية — [1] .

ج

لربما رغبتم في التعرف عن كثب الى هذه المخطوطات ولا سيما الى ما تحويه لكي تتمكنوا من تقدير اهمية الاكتشاف تقديرًا اوفى، لذلك لا ارى لي مندوحة في الدرجة الاولى من الاشارة الى الملفات التي تتعلق بالكتاب المقدس : هناك ملفان من اسفار النبي اشعيا احدهما تام وهو في حوزة الرهبان السريان وقد نشرته مدرسة الابحاث الشرقية الاميركية بنيوهافن ١٩٥٠ New Haven 1950 والثاني لدى الاستاذ سوكنيك Sukenik وقد حصل عليه في تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ وهو لا يكاد يكون مقروءا وانما قد كان بالاستطاعة تحقيق فصوله من الـ ٤١ الى ٦٦ بواسطة شذرات مبعثرة وفقرات عديدة من القسم الاول .

ولم تستطع هذه المخطوطات ان تغير وجه المسألة التي شطرت العلماء زمناً طويلًا حول وحدة كتاب اشعيا الادبية ولا ان تهيء اقل ذريعة لاصحاب احد الرأيين .

والقول الذي اجمع عليه كل العلماء هو ان نبوات اشعيا كانت مجموعة في

---

(1) On ne connaît ces jarres que par l'allusion qu'y a faite le Professeur Sukenik dans sa lettre au *New-York Times* du 19 mars 1949.

(1) Voir *Biblica* 31 (1951), p. 242-5. Il s'agirait du livre des *Haphtaroth* et plus récemment Jewish Quarterly Review, juillet 1950, p. 71-81.

القرن الثاني قبل المسيح في كتاب واحد يعزونه الى مؤلف واحد ، ففائدة الاكتشاف تعود الى غير هذا الامر .

وثمت مسألة اخرى اعظم خطورة قد شطرت العلماء ايضاً حولها الا وهي قيمة النص العبراني في اسفار كتابنا المقدس .

ولا يفوت علمكم ان هذا النص لم يجمع في كتاب واحد الّا في القرن الثامن المسيحي وقد جمعه العلماء اليهود اما اقدم المخطوطات المعروفة فترتقي في تاريخها الى القرن التاسع او العاشر اما الترجمة اليونانية التي لدينا فقد أُلفت في الاسكندرية في القرنين الثالث والثاني قبل المسيح ووضعها سبعون مترجماً كما يؤخذ من الاسطورة « ومن ذلك اشتقت اسمها السبعينية » وهي تفترض نصاً عبرانياً يختلف احياناً اختلافاً كبيراً عن نصها الحالي .

واذا ما تضاربت الآراء أفليس علينا ان نجعل الافضليــة للترجمة اليونانية لكونها اقدم من غيرها بألف سنة تقريباً ؟ ما من احد فكر في هذا الامر اما الاكتشاف الجديد فيجيب صراحة في مجموعه بالنفي على هذه المسألة ليجعل قيمته للنص العبراني الذي نسج خيوطه في كتاب واحد علماء اليهود قيمة قد لا لا يجادل فيها .

ولا يفوتنا ادراك اهمية نتيجة كهذه النتيجة . والى جانب ملفّات اشعيا الكاملة وحدها لا بدّ من الاشارة الى فقرات كبيرة احياناً اما بشأن فقرات النبي دانيال التي ما برحت غير معروفة والمشكوك بوجودها فلا اقول شيئاً.

ولنلمع الى فقرات اربع من سفر اللاويين اكتشفها وحققها ونشرها الاب ده فو de Vaux وهي سفر اللاويين التاسع عشر والثاني والعشرون اي الجزء الذي يطلق عليه النقاد اسم « ناموس التقديس » ويجعلونه من اقدم نصوص الكتاب .

وعلى نقيض جميع مخطوطات المغارة الاخرى المكتوبة بحروف « مربعة » ما برحت مستخدمة اليوم وقد تبناها اليهود حوالي عهد Esdras فان هذه الفقرات مكتوبة باحرف فينيقية وفق رسم الاحرف القديمة التي استخدمها العبرانيون قبل الجلاء وهي قريبة من شكل الحروف التي وجدت مكتوبة على العظام في تل الدوير Tell-ed-Duwer لاكيس Lakhish القديمة ومؤرخة من القرن السادس.

وهذا الاختلاف البيّن بين الخطين حمل الاب ده فو de Vaux على ان لا يرتقى الى ما قبل القرن الرابع وانه تاريخ قديم لمخطوطة اسفار موسى الخمسة .

ولنشر ايضاً الى فقرة من كتاب des Jubilés وان النص من نصوص التوراة : اجل انها لفقرة صغيرة جـد الصغر — خمسة اسطر من النص فقط لكنها عظيمة القيمة لانها تجعلنا لاول مرة عـلى اتصال مباشر بنص كتاب اليهود الاصلي وهو ضرب من تفسير سفر التكوين لا نعرف منه حتى الآن الّا ترجمات مجزأة بالحبشية او اللاتينية مأخوذة عن الصورة اليونانية !

ومن كبريات فوائد الاكتشاف الجديد انه يعرّفنا عن كثب الى احدى الفرق اليهودية التي تشبه شبها كبيرًا السدوقيين Esséniens ونوعاً المسيحيين : الا وهي الفرقة المدعوّة « بالعهد الجديد في بلدان دمشق » كما تسمي نفسها في المستند الوحيد الذي لدينا وقد اكتشف اتفاقاً سنة ١٨٩٦ في احد منابر géniza كنيس في مصر القديمة ونشر سنة ١٩١٠ .

ولم تزل تفاصيل عدة حول هذه الفرقة في حيّز الغموض إما ما يقدّر لها من تاريخ فيتأرجح بين القرن الثاني قبل المسيح والعصور الوسطى على ان معظم العلماء يجعلون تاريخها في القرن الاول بعد المسيح .

ولقد اصبحت اوهام عديدة اليوم جلية كل الجلاء بفضل حلقة الملفّات الكاملة التي اكتشفت بالمغارة وبالنظر الى قدمية تاريخ المخطوطات الجديدة وزال بذلك كل تسرّب مسيحي وصار في مقدورنا ان نلج الى اعماق هذه الفرقة التي غدونا نعرف قانونها هذا القانون الذي وضع له الاميركيون عنواناً « كتاب النظام » .

وقانون هذه الفرقة ملفّ من الجلد طوله متران عرفنا منه خمسة اعمدة قد نشرت من احد عشر او ثلاثـة عشر عمودًا وهي الكتاب برمّته ، وحسبنا الاعمدة الخمسة هذه لتبيان مدى ما لها من فائدة عنـد مفسري العهد الجديد على شرط ان يتمنوا ان يحملوا النصوص عـلى قول ما لا تقول[2] بحجة اقامة المقاربة بينها .

(1) Revue Biblique, 1949, p. 597-602.

(2) On pourra consulter en particulier deux études fort nuancées et objectives, l'une de William H. Brownlee qui occupe tout le numéro de sept. 1950 du *Biblical Archaeologist*, l'autre de M. Burrows, *The Discipline Manual of the Judaean Convenanters*, communication lue au Congrès international des exégètes

وهاكم فقرة مستمدة من الجزء الاول تصف كيف يُشرك الطالب في نظامهم « ان كل الذين يدخلون في نظام الجمعية ينتقلون بالعهد الى امام الله ليحافظوا على كل ما امر به ولا يتخلّوا عنه حيال الارهاب والخوف او بسبب مصيبة من المصايب وذلك اذا ما ساورتهم التجارب تحت سلطان (بليال) Bélial .

واذا ما انتقل الطالب الى العهد بارك الكهنة واللاويون اله الخلاص وجميع اعماله البارة ويقول جميع الذين انتقلوا الى العهد وراءهم امين امين ومن ثم يروي احد الكهنة المراحم التي اظهرها الله في معجزاته ويعلنون كل رأفته باسرائيل ورحمته له اما اللاويون فيقصّون كل معاصي بني اسرائيل وحنثهم المجرم بالعهد والخطايا التي ارتكبوها تحت تأثير «بليال» Bélial ويعترف جميع الذين دخلوا العهد وراءهم قائلين : لقد كنّا اشرارًا ولم نبرّ بالعهد فارتكبنا المعصية والكفر نحن واباؤنا من قبل اذ لم عملنا ضد وصايا الله في سلوكنا فتخلّى عنا برأفته ورحمته » [1] .

ولدينا كتاب صلاة لهذه الفرقة بشكل ثلاثة ملفّات من زبور افعال النعم وبينه وبين كتاب الزبور الثانية عشرة التي ينسبونها الى سليمان بعض وجوه الشبه واذا كان الاصل العبراني او الآرامي لهذه الزبوربات مفقودًا فقد حُفظت منه الترجمتان اليونانية والسريانية . وان الذكريات وقوالب العبارات المستخدمة في التوراة هي وافرة فيه بيد ان اللهجة لمختلفة في الغالب، وسندلي بحكمنا بشأنه بالاستناد الى الفقرتين او الثلاثة التي اقتطفناها منه :

« احمدك اللهمّ لانك اوجدتني في جمهرة اللآلي
فأحطتني بعنايتك ضد مغريات المتزلق جميعها
فتش الاقوياء عن نفسي
عندما كنت منضمًا الى عهدك

du N.T. (Leyde 30 août, 2 sept. 1950) et publiée dans les *Oudtestamentisch Studien* deel VIII, 1950, p. 156-92. A Dupont-Sommer a donné un traduction des fragments édités dans *la Revue de l'Histoire des Religions*, juil.-sept. 1950, p. 5-11. Nous reproduisons ici une traduction inédite du P. J. Bonsirven.

(1) Les cinq psaumes édités par le Prof. Sukenik ont été traduits en français et brièvement commentés par G. Vermes, dans les *Cahiers Sioniens* de sept. 1950, p. 178-202, nous citons cette traduction.

فهم يكونون جماعة من العدم
ومجتمع بليال Bélial
هم لا يعرفون
ان سلامتي متأتية منك
وانك ستخلصني برحمتك
وانك انت الذي ترشد قدمي
فلما ذاب قلبي كالما
قد قويتني بعهدك
احمدك اللهم لانك انقذتني من الهاوية
ولانك اصعدتني من جحيم ابادون Abaddon الى علو دائم الثبات
فأسير في الطريق المستقيم من دون قلق
لانني اعرف الرجاء الذي اوجدته لهذا الذي صنعته من صلصال
في نظر طائفة لن ينال منها الهلاك منالا ... »

وقد اشار واضع هذه الزبور في موضع اخر الى الاضطهادات التي حلت بفرقته :

طُردتُ من بلادي كما يطرد العصفور من عشه
وتحول اهلي واصحابي عني
واعتبروني مثل آنية محطمة
لقد ارتبم المعبرين بالكذب وانبياء المكر
ابناء بيليال Belial خطة
لتزييف التوراة التي حفرتها في قلبي
ليزيفوها باقوال خداع وجهوها الى شعبك
فسدوا في وجه العطاش ينبوع المعرفة
ليرووا ظمأهم بالخل ...

وتغنى صاحب هذه الزبور ايضاً بثقته القوية التي لا تتزعزع :

« سيقوم البشر امامك الى الابد كما تشتهي

ويثبت الذين يسيرون في طريقك مكرّمين
اما انا فانك تنادي
وسأنتصب في وجه الساخرين بي ولن اهادن
وسأضع يدي في وجه من يحتقروني
وستظهر في قوّتك نوراً وهاجاً
ولن تغطّي وجهي بستار الخجل
وجه اتباعي
المجتمعين في عهدك

ويطلعنا على هذه الفرقة نفسها المعلومات القيّمة في كتاب تفسير الفصلين الاولين للنبي «حبقوق» وهو ملفّ طوله متر وخمسة وخمسون سنتيمترا في حوزة الرهبان السريان «ككتاب النظام» فقد اكتفى واضعه بتطبيق كلمات النبي على الحوادث التي شهدها هو بنفسه وانتبذ ظهرياً المعنى الحرفي: «ان هذا ينطبق على ... وتفسير هذه هو ان ... »

ولقد القي في ذهننا ان مؤسس الفرقة التي دعيت باسم « العهد الجديد » هو بعض من اطلق عليه اسم « المعلم العدل» maître de justice المدعو مرتين بلقب « المختار من الله» الذي اطلعه على جميع اسرار عبيده الانبياء.

وعلى الاصح ان هذه الفرقة هي التي تحدّث عنها المخطوط الذي اكتشف في القاهرة واضطهدها مع اتباعها احد الكهنة الجاحدين وهو رجل كذوب مما ينطبق على ما جاء تماماً في مخطوط القاهرة الذي تحدث عن احد « الابرار » الذي حاول اعداؤه اغتياله .

ولو شئنا التقيد بالنص لرأينا انه لم يرد قط في اي مستند كان من مستنداتنا ان « معلم العدل » هذا قد قضي عليه بالموت او طعن بالحراب او صلب كما لم يرد ما يقول عنه « انه شخص الهي متجسد » كما احبوا ان يلقوا في الذهن[1].

(1) Ainsi A. Dupont-Sommer, dans *la Revue de l'histoire des Religions*,— avril-juin 1950 (Commentaire à Hab II, 7) p. 146, et *les manuscrits de la mer morte*, p. 46. Dans le Document du Caire il est question d'un maître de justice, personnage futur des derniers temps, à côté du Messie d'Aaron et d'Israel, et d'un«docteur unique»,personnage du passé, décédé, mais nullement mis à mort. — Voir la mise au point du P. J. Bonsirven dans les *Etudes* de février 1951, p. 213-218: «Révolution dans l'histoire des origines chrétiennes»?

وما نعرفه ايضاً ان الله قد سلّم ذلك الكاهن الكافر الى ايدي اعدائه « لكيتم» Les Kittim بسبب الآثام التي ارتكبها حيال « معلم العدل » maître de justice واتباعه « اولئك الاعداء الذين انتشر رعبهم وارهابهم في جميع الامم » كما يجزم المؤلف قائلاً : اولئك الاعداء الذين يريد مفسرو يومنا ان يوحدوهم مع الرومانيين « مما يستوجب تأخير تاريخ مخطوطاتنا الى ما بعد استيلاء بومبيوس على اورشليم سنة ٦٥ قبل المسيح » او مع السلوقيين ولا سيما بخاصة مع انطيوخوس وابيفان Epiphane .

والذي لا ريب فيه ان الملف البالغ طوله مترين وتسعين سنتيمتراً وجعل الاستاذ سوكنيك Sukenik عنوانه « حرب ابناء النور ضد ابناء الظلام » هو وليد تلك البيئة نفسها . اما المقتطفات التي نشرت من الاعمدة الثلاثة فلا تخوّلنا ان نعيّن بالضبط كيفية « تنظيم تلك المعركة » الغريبة التي يذكّرنا ما فيها من حماسة للقتال ومن تفاصيل كثيرة باسفار المكابيين القانونية Canoniques .

واليكم المثل على كيفية حض الحبر الاعظم لجنوده على طريقة يهوذا المكابي : «لا تخافوا ولا ترتعدوا ولا تجحدوا انهم مجتمع كفرة وكل اعمالهم تجري في الظلام » .

ومن ثم يشرع بالابتهال الى يهوه الجيوش « انهض ايها البطل ، واقتد اسراك ايها الكائن المجيد خذ غنيمتك . ايها القوي باعمالك ضع يدك على عنق اعدائك ورجلك في ارفع ذرى المذبحة ، انزل المصايب بالامم وليمزق حسامك لحم المجرم ! افعم الارض بالمجد وميراثك بالبركات وافض الخيرات الغزيرة من فضة وذهب واحجار ثمينة في ممتلكاتك وقصورك ! وكوني يا صهيون في سدرة الفرح وابرزي يا اورشليم بهتافات السرور وابتهجي يا جميع مدن يهوذا وافتحي ابوابك دائماً لتدخلي اليكِ ثروات الامم ! ليخدمك الملوك وليخرّ امامك الذين اخزوك ويلثموا تراب اقدامك[1] .

واننا نرى ان كل الامور تحمل على الافتراض ان المخطوطات التي كانت مودعة في مغارة عين فشخه Ain Feshkha هي لهذه الفرقة اليهودية نفسها وربما

(1) J'emprunte cette traduction « provisoire » au R. P. Tournay, Revue Biblique, 1949, p. 213-214.

شاءت ان تخفيها في مأمن قبل هجرتها الى بلاد دمشق وبالاستناد الى هذا يكون مخطوط القاهرة الذي فرض استقرارها بجوار دمشق متأخرًا بعض التأخير كما يستفاد ضمناً .

والامر الاكيد ان الاقدمين كان من عادتهم الاحتفاظ باثمن ذخائرهم في آنية خزفية . أفلم يأمر النبي ارميا تلميذه باروخ بان يأخذ صكي ابتياع حقل عناتوت وان يضعهما في اناء من خزف ليدوما اياماً كثيرة ؟[1]

أوَ لم يكتشف سنة ١٩٠٦ في انيتان من خزف في ايليفانتين Eléphantine بالقرب من اسوان اوراق بردي رسمية يونانية من القرن الخامس قبل المسيح ؟

ولقد حدثنا اوريجانوس Origène نفسه الذي كان في فلسطين سنة ٢١٧ عن مخطوطات عبرية ويونانية اكتشفت في آنية من خزف بالقرب من اريحا في عهد كاركلا وقال انها كانت له عون في وضع احد اعمدة كتابه الزبور الضخم[2].

ومهما يكن من امر فان هذا المخبأ لم يكن بعيدًا عن متناول الناس في الزمن القديم لان الاب ده فو de Vaux والسيد هاردنغ Harding قد وجدا فيه حفنة من بقايا الآنية الخزفية الرومانية من القرن الثاني او مطلع القرن الثالث ممزوجة بالخزف الاغريقي ولا يمكن تعليل هذا الامر الاكيد في هذا المكان النائي الّا بزيارات قام بها لهذه المغارة اشخاص يبتغون الفائدة[3] .

❖

هل كنا مخطئين عندما قلنا في بدء حديثنا ان الحظ كان سخياً بنثر ابتساماته على الباحثين عن الكنوز العائدة الى الكتاب المقدس ؟ والظاهر ان الادلة لا تشير الى انه سيضع حدًا لفضائله هذه ..

واسمحوا لي وان خرجت عن امر المخطوطات العائدة الى الكتاب المقدس مباشرة بان المع لكم بكلمة واحدة الى كنزين جديدين جعلتهما ارض مصر

(1) Jérémie p. 32,14.

(2) Les renseignements se trouvent dans un bon nombre de manuscrits; le passage a été étudié par le Cardinal G.Mercati dans *Studis Testi*,vol. 5 (1901) p. 29 = *Note di letteratura biblica cristiana antica.*

(3) *Revue biblique*, 1949, p. 236.

الغنية بالاثار في متناول من واتهم حظ الاكتشاف وفي متناول العلماء بدراساتهم المستمرة ونيدة .

لقد كشفت فؤوس العمال في شهر آب سنة ١٩٤١ على بعد عشر كيلومترات من القاهرة عندما كانوا يحفرون في مقالع تورا Toura لايداع كميات الذخائر رزمة من اوراق البردي قدروا حجمها بمتر مكعب !

ومن هذه الاوراق صدر نص اوريجانوس Origène القيّم الذي طبعه م.ج. شرر M.J. Scherer الاستاذ في جامعة فؤاد الاول طبعاً متقناً وقد كتبه بالاختزال جماعة من الاساقفة سألوا مدير ال Didascale في الاسكندرية « عن الاب والابن والروح » .

وثمت اوراق اخرى تشتمل على تفاسير القديس للتوراة وهو الذي خلف اوريجانوس على رأس مدرسة الاسكندرية في القرن الرابع ومن جملة تلاميذه فيها القديس ايرينيموس Jérôme وروفان Ruffin اللذين لم نطلع على تفسيرهما حتى الآن الّا عن طريق بعض الشذرات المحفوظة dans les chaînes بيد ان الباقي منها الذي ما برح قيد التنقيب عنه سيكون مدعاة لمفاجأة جديدة .

ومن عهد قريب جد القرب عثر محراث احد الفلاحين في ناج حمادي Nag. Hamadi بمصر العليا على بعد ٥٠ كيلومتراً من القصور Louxor بآنية خزفية ضمنها « اعظم مجموعة من الكتابات على ورق البردي » حتى سميت بأهم مجموعة لانهم لم يروا قط مثلها سواء اكان ذلك من حيث العدد ام القدم ام من حيث الاحتفاظ بكبرها[1] وينبغي ان نضيف اليها بالاستناد الى ما اوضحته هذه النصوص اثنين واربعين كتاباً لهؤلاء الكتبة الذين مثلوا دوراً كبيراً في اثناء قرون الكنيسة الاولى وكانت لهم معرفة كاملة وسامية وحاربهم بقوة ايرنيه Irénee واوريجانوس وهيبوليت Hippolyte وابيفان Epiphane وذلك ما عدا الوثنيين كلس Celse او بلوتان Plotin وكتموا بمهارة

(1) Voir les deux articles de Jean Doresse et Togo Mina, parus dans *Vigiliae Christianae*, juillet 1948, p. 129-160 et juillet 1949, p. 129-141 et, sur les circonstances de la découverte l'article, d'Octave Guérand, dans la Revue de l'histoire des religions, janv.-juin 1946, p. 85-108.

تعاليمهم حتى اوشكت مستنداتنا الآن ان تقتصر على كتابات خصومهم الذين لم يستطيعوا هم ايضاً الحصول على مؤلفاتهم .

هذا هو الكنز الذي اكتشف في ناج حمادي Nag. Hamadi الذي يفتح فجأة ابواب مكتبة للمعارف على مصراعيها حيث نرى اقدم كتب هذه الفرقة المقدسة .

اجل ان الحظ ليبسم دائماً لعلماء القرن العشرين .